التفسير الكبير

للإمام

الفخر الرازي

الجزء العشرون

الطبعة الأولى

يطلب من ملتزم طبعه

عبد الرحمن محمد

ملتزم طبع المصحف الشريف بميدان الجامع الأزهر

طبع بالمطبعة البهية المصرية

١٣٥٧ هجرية — ١٩٣٨ ميلادية

ســورة الاسراء

مكية . الا الآيات : ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ الى غاية آية ٨٠ فمدنيـة
وآياتها : ١١١ ، نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «١»

سورة بنى إسرائيل

عـــددها : مائة آية وعشر آيات

عن ابن عباس أنها مكية . غير قوله (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) الى قوله (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) فانها مدنيات ، نزلت حين جاء وفد ثقيف .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾

فى الآية مسائل :

﴿المسألة الأولى﴾ قال النحويون : (سبحان) اسم علم للتسبيح . يقال : سبحت الله تسبيحاً وسبحانا ، فالتسبيح هو المصدر . وسبحان اسم علم للتسبيح كقولك : كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا وتفسيره تنزيه الله تعالى من كل سوء . قال صاحب النظم : السبح فى اللغة التباعد ، يدل عليه قوله

تعالى (إن لك فى النهار سبحا) أى تباعدا . فمعنى : سبح الله تعالى ، أى بعده ونزهه عما لا ينبغى وتمام المباحث العقلية فى لفظ التسبيح قد ذكرناها فى أول سورة الحديد ، وقد جاء فى لفظ التسبيح معان أخرى : أحدها : أن التسبيح يذكر بمعنى الصلاة ، ومنه قوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من المصلين ، والسبحة الصلاة النافلة ، وإنما قيل للمصلى مسبح ؛ لأنه معظم لله بالصلاة ومنزه له عما لا ينبغى . وثانيها : ورد التسبيح بمعنى الاستثناء فى قوله تعالى (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى تستثنون وتأويله أيضا يعود الى تعظيم الله تعالى فى الاستثناء بمشيئته ، وثالثها : جاء فى الحديث «لأحرقت سبحات وجهه ماأدركت من شىء» قيل معناه نور وجهه ، وقيل سبحات وجهه ، نور وجهه الذى اذا رآه الرائى قال : سبحان الله ، وقوله (أسرى) قال أهل اللغة : أسرى وسرى لغتان : وقوله (بعبده) أجمع المفسرون على أن المراد محمد عليه الصلاة والسلام ، وسمعت الشيخ الامام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال : سمعت الشيخ الامام أبا القاسم سليمان الأنصارى قال : لما وصل محمد صلوات الله عليه الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله تعالى اليه : يامحمد بم أشرفك ؟ قال «يارب بأن تنسبنى الى نفسك بالعبودية» فأنزل الله فيه (سبحان الذى أسرى بعبده) وقوله (ليلا) نصب على الظرف .

فان قيل : الاسراء لايكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل ؟ .

قلنا : أراد بقوله (ليلا) بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء . وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قددل على معنى البعضية ، واختلفوا فى ذلك الليل قال مقاتل : كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة ، ونقل صاحب الكشاف عن أنس والحسين أنه كان ذلك قبل البعثة ، وقوله (من المسجد الحرام) اختلفوا فى المكان الذى أسرى به منه ، فقيل هو المسجد الحرام بعينه . وهو الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق» وقيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب . والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به ، وعن ابن عباس الحرم كله مسجد ، وهذا قول الأكثرين وقوله (إلى المسجد الأقصى) اتفقوا على أن المراد منه بيت المقدس . وسمى بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله (الذى باركنا حوله) قيل بالثمار والأزهار ، وقيل بسبب أنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة .

واعلم أن كلمة (الى) لانتهاء الغاية فمدلول قوله (الى المسجد الأقصى) أنه وصل الى حد ذلك

المسجد فأما أنه دخل ذلك المسجد أم لا فليس فى اللفظ دلالة عليه ، وقوله (لنريه من آياتنا) يعنى مارأى فى تلك الليلة من العجائب والآيات التى تدل على قدرة الله تعالى .

فان قالوا : قوله (لنريه من آياتنا) يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات . لأن كلمة (من) تفيد التبعيض ، وقال فى حق إبراهيم (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) فيلزم أن يكون معراج ابراهيم عليه السلام أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم .

قلنا : الذى رآه ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، والذى رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى ، ولا شك أن آيات الله أفضل .

ثم قال ﴿إنه هو السميع البصير﴾ أى أن الذى أسرى بعبده هو السميع لأقوال محمد ، البصير بأفعاله ، العالم بكونها مهذبة خالصة عن شوائب الرياء ، مقرونة بالصدق والصفاء ، فلهذا السبب خصه الله تعالى بهذه الكرامات ، وقيل : المراد سميع لما يقولون الرسول فى هذا الأمر ، بصير بما يعملون فى هذه الواقعة

﴿المسألة الثانية﴾ اختلف فى كيفية ذلك الاسراء ، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأقلون قالوا : إنه ما أسرى إلا بروحه حكى عن محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال ذلك رؤيا . وأنه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أسرى بروحه . وحكى هذا القول أيضا عن عائشة رضى الله عنها ، وعن معاوية رضى الله عنه . واعلم أن الكلام فى هذا الباب يقع فى مقامين : أحدهما : فى إثبات الجواز العقلى . والثانى : فى الوقوع .

﴿أما المقام الأول﴾ وهو إثبات الجواز العقلى . فنقول : الحركة الواقعة فى السرعة إلى هذا الحد ممكنة فى نفسها . والله تعالى قادر على جميع الممكنات ، وذلك يدل على أن حصول الحركة فى هذا الحد من السرعة غير ممتنع . فنفتقر ههنا إلى بيان مقدمتين :

﴿المقدمة الأولى﴾ فى إثبات أن الحركة الواقعة إلى هذا الحد ممكنة فى نفسها ويدل عليه وجوه :

﴿الوجه الأول﴾ أن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره مايقرب من نصف الدور وقد ثبت فى الهندسة أن نسبة القطر الواحد إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع ، فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع . وبتقدير أن يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى مافوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا بمقدار نصف القطر فلما حصل فى ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر